مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(١ كورنثوس ٤: ٩–١٦)

يا إخوةُ إنَّ اللهَ قد أبرزَنا نحنُ الرسلَ آخِرِي الناسِ كأنَّنا مجعولونَ للموت. لأنَّا قد صِرنا مَشهداً للعالَمِ والملائكةِ والبشر* نحنُ جهَّالٌ من أجلِ المسيحِ أمَّا أنتم فحكماءُ في المسيح. نحنُ ضُعَفاءُ وأنتم أقوياءُ. أنتم مُكرَّمون ونحنُ مُهانون* وإلى هذه الساعةِ نحنُ نجوعُ ونَعطَشُ ونَعْرَى ونُلطَمُ ولا قرارَ لنا* ونتعَبُ عامِلين. نُشتَمُ فنُبارِك. نُضطهَدُ فنحتَمِل* يُشنَّعُ علينا فنتضرَّعُ. قد صِرنا كأقذارِ العالمِ وكأوساخٍ يستخبِثُها الجميعُ إلى الآن* ولستُ لأُخجِلَكم أكتبُ هذا وإنَّما أعِظُكُم كأولادي الأحبَّاء* لأنَّه ولو كانَ لكم ربوةٌ من المُرشدينَ في المسيحِ ليس لكم آباءٌ كثيرون. لأنّي أنا ولدتُكم في المسيحِ يسوعَ بالإنجيل* فأطلبُ إليكم أن تكونوا مقتَدينَ بي.

الرحمة

«أخطُبُكِ لنفسي إلىالأبدِ وأخطُبُكِ لنفسي بالعدل والحقِّ والإحسان والمراحِمِ، أخطُبُكِ لنفسي بالأمانَةِ، فتعرِفينَ الرَّبَّ» (هو ٢: ١٩–٢٠).

«الرب رحيمٌ ورؤوفٌ طويلُ الروح وكثير الرحمة. لا يحاكم إلى الأبد ولا يحقِدُ إلى الدهر. لم يصنع معنا حسب خطايانا ولم يجازِنا حسب آثامنا. لأنه مثلُ ارتفاع السموات فوق الأرض قويت رحمته على خائفيه. كبُعد المشرق عن المغرب أبعد عنا معاصينا. كما يترأف الأب على البنين يترأف الرب على خائفيه. لأنه يعرف جبلتنا. يذكر أننا ترابٌ نحن» (مز ١٠٣: ٨–١٤).

الرحمة، في عرف الكتاب المقدّس، صفة من صفات الله. وفي اللغات السامية، بما فيها العبريّة التي كُتب فيها العهد القديم والعربيّة، تشير اللفظة إلى علاقة الرحم، أي إلى الودّ والرأفة اللذين يربطان الأم بمولودها، ما يحدوها على العناية به وتلبية حاجاته الجسديّة والنفسيّة. وغالباً ما يعبّر الكتاب المقدّس بعهديه عن علاقة الرحمة هذه بصورة تحرّك الأحشاء. فحين أتت مثلاً، امرأتان إلى الملك سليمان تطالبان بالطفل نفسه، وكلّ واحدة تدّعي أنّه ابنها، نجد أنّ أمّ الصبيّ الحقيقية تترأف على ابنها وتطالب الملك بعدم قتله: «فتكلّمت المرأةُ التي ابنُها الحيُّ إلى الملكِ، لأنَّ أحشاءَها اضطرَمَتْ على ابنِها، وقالتِ استمِعْ يا سيِّدي. أَعْطوها الولَدَ الحيَّ ولا تُميتوه» (١ مل ٣:٢٦). أمّا يسوع الناصريّ، في العهد الجديد، فغالباً ما تتحرّك أحشاؤه لدى رؤيته الجموع، فيتحنّن عليهم ويرحمهم (مت ٩:٣٦). إذاً، فيما ينظر الكتا ب المقدّس، على وجه العموم، إلى الله بوصفه أبًّا، تشكّل صفة الرحمة، التي ينسبها إليه، تعبيراً عن حنان الله ومحبّته واهتمامه، على النحو الذي تضطلع به الأم حيال أولادها.

إذا كانت الرحمة، أساساً، صفة من صفات الله، فهذا يعني أنّ الله منطلقها. وتالياً، فإنّ الإنسان لا يطالب بممارسة الرحمة تجاه أخيه الإنسان إلاّ لأنّ الله هو من يرحم الإنسان أولاً. ولا ريب في أنّ هذه الرحمة ظهرت، بحسب منطق الكتاب المقدّس، بأجلى بيان على الصليب، حين دفع الله بابنه الوحيد إلى الموت

العدد ٢٠٠٨/٤٦

الأحد ١٦ تشرين الثاني

تذكار القديس الرسول

متى الإنجيلي

اللحن الخامس

إنجيل السَحَر الحادي عشر

الإنجيل

(متى ٩: ٩–١٣)

في ذلك الزمان فيما يسوع مجتازٌ رأى إنساناً جالساً على مائدةِ الجِبايةِ اسمُهُ متَّى فقال له اتبعْني. فقام وتبِعَهُ* وفيما كان متَّكئاً في البيت إذا بعشَّارين كثيرين وخَطأةٍ جاؤوا واتَّكأوا مع يسوعَ وتلاميذِهِ* فلمَّا نظرَ الفريسيون قالوا لتلاميذِهِ لماذا مُعلّمُكم يأكُلُ مع العَشَّارينَ والخطأة* فلمَّا سمِعَ يسوع قال لا يحتاجُ الأصحَّاءُ إلى طبيبٍ لكن ذوو الأسقام* فاذهَبوا واعلَموا ما هو إنّي أريدُ رحمةً لا ذبيحةً. لأنّي لم آتِ لأدعُوَ صِدِّيقين بل خَطَأةً إلى التوبة.

تأمل

«لأني لم آتِ لأدعو صِدِّيقين بل خطأة إلى التوبة.

أخاطئ أنتَ؟ لا تيأس! أدخل الكنيسة بتوبة. هل أخطأتَ؟ قُل لله «أخطأتُ». هل يصعب عليك أن تعترف بخطيئتك؟ فإن لم تؤنّب أنت نفسك سيؤنّبك الشيطان؛ إسبقه إذاً واخطف سلطته، لأنّ كاللصوص حبًّا بالبشر. ويكتب الرسول بولس، في هذا الصدد، إلى الكنيسة التي في رومية أنّ رحمة الله الظاهرة على الصليب قد شملت البشر جميعاً، يهوداً ووثنيّين، بحيث لا يسع شعباً، أو أُمّةً، أن يستأثر بها دون سواه: «فإنّه كما كنتم أنتم مرَّةً لا تُطيعونَ اللهَ ولكن الآنَ رُحِمتُم بعِصيانِ هؤلاءِ، هكذا هؤلاءِ أيضاً الآنَ لم يُطيعوا لكي يُرحَموا هم أيضاً برحمتِكم، لأنَّ اللهَ أغلقَ على الجميعِ معاً في العِصيانِ لكي يرحمَ الجميعَ» (رو ١١: ٣٠–٣١). الإنسان، بحسب هذا المنطق، مدعوّ إلى الإقتداء بالله، لأنّ الله هو من أخذ المبادرة ورحم البشر: «كونوا رُحَماءَ كما أنَّ أباكُم أيضاً رحيمٌ» (لو ٦:٣٦). وإذا كانت الرحمة التي يمارسها الإنسان، مهما سمت، ظرفيّةً ومرتبطةً بالأُطر والإمكانات البشريّة الضيّقة، فإنّ رحمة الله لا حدّ لها: «لا أُجري حُمُوَّ غضَبي لا أعودُ أخربُ أفرايمَ لأنّي اللهُ لا إنسانٌ القدوسُ في وَسَطِكَ فلا آتي بسُخْطٍ» (هو ١١:٩). والأهم في هذا كله أنّ رحمة الله غير مشروطة، أي أنّ الله لا يجعل رحمته مرتبطةً بسلوك الإنسان، وإن كان يتوقّع من الإنسان أن يسلك في طريق الرحمة. ويفصح الرسول بولس، ثانيةً، عن لا مشروطيّة الرحمة الإلهيّة قائلاً: «إذ كُنَّا بعدُ ضُعَفاءَ ماتَ في الوقتِ المُعَيَّن لأجلِ الفُجَّارِ، فإنَّه بالجَهْدِ يموتُ أَحدٌ لأجلِ بارٍّ... ولكنَّ اللهَ بيَّنَ محبَّتَه لنا لأنَّه ونحنُ بعدُ خُطاةٌ ماتَ المسيحُ لأجلِنا» (رو ٥: ٦–٨). لا غرو، إذاً، أن يشدّد أنبياء العهد القديم على أنّ الرحمة التي يُطالب بها البشر تسبق الذبيحة. فمن الممكن أن يتمّم البشر كل الطقوسيّات المرتبطة بالذبائح من غير أن يكونوا رحماء، أي من غير أن يتعاملوا، بعضهم مع بعض، بمقتضى المحبة والرأفة: «إنّي أريدُ رحمةً لا ذبيحةً، ومعرفةَ اللهِ أكثرَ من مُحرقاتٍ» (هو ٦:٦).

رحمة الله هذه تجلّت، ولا شكّ، في سيرة يسوع الناصريّ. وقد نظر يسوع إلى الرحمة التي حلّت على البشر، بفضل مجيئه إليهم، بوصفها شهادةً على مسيانيّته وعلامةً من علامات حضور ملكوت الله: «روحُ الربِّ عليَّ، لأنّه مَسَحَني لأُبشِّرَ المساكينَ أرسَلَني لأشفِيَ المُنكَسِري القلوبِ لأنادي للمأسورينَ بالإطلاقِ وللعُمي بالبصرِ وأُرسِلَ المُنسَحقين في الحريَّةِ وأكرِزَ بسَنَةِ الربِّ المقبولة... فابتدأ يقولُ لهم إنّه اليوم قد تمَّ هذا المكتوبُ في مسامِعِكم» (لو ٤:١٨–٢١). يسوع المسيّا، أي الملك الممسوح، الآتي إلى الأرض ليحقّق مُلْكَ الله، لا يعبّر عن حضور هذا المُلك بالجيوش والخيول والأسلحة، بل بأعمال الرحمة التي يُغدقها على الحزانى والمساكين والفقراء والمرضى والسجناء. ما فشل ملوك الأرض في تحقيقه من رحمة، يحقّقه ابن الله الملك الممسوح في حياته، من الولادة إلى القيامة مروراً بالصليب، مطالباً البشر بأن يكونوا رحماء، كما كان هو رحيماً معهم.

حيال كلّ ما يورد الكتاب المقدس عن رحمة الله التي تحقّقت خصوصاً في يسوع، لا عجب أن تصبح الرحمة مركز التقليد الأرثوذكسي النسكيّ، والذي يعبّر عن ذاته بكثافة في ما يُعرف بصلاة يسوع: «أيها الرب يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، ارحمني أنا الخاطئ». حين يلجأ المسيحيّ إلى هذه الصلاة القصيرة المعبّرة، سواء في حقبات الصوم أو خارجها، هو يضع نصب عينيه أن لا حياة له من دون هذه الرحمة الإلهية المغدَقة عليه بيسوع المسيح. في كلّ ذلك،

سلطته هي في الشكاية الحقيقية؛ إسبقه وامحُ الخطيئة، لأنّ لديك واشياً لا يستطيع الصمت.

هل أخطأتَ؟ لا أطلب إليك سوى أمر واحد فقط وهو أن تدخل الكنيسة وتقول لله بتوبة «أخطأتُ»، لأنه مكتوب: «حدِّث بخطاياك لكي تتبرّر» (اش ٤٣: ٢٦)؛ قُلْ الخطيئة كي تخلص منها، فأنت لا تحتاج في هذا لا تعباً ولا كلماتٍ كثيرة ولا تكاليف ولا أيّ أمر مماثل، فقط كلمة واحدة «أخطأتُ».

... هل أخطأتَ؟ تعالَ إلى الكنيسة وامحُ خطيئتك؛ فمهما سقطتَ في الطريق ستنهض كذلك أيضاً، وهكذا إن أخطأتَ مراتٍ كثيرة ستتوب مراتٍ كثيرة. لا تيأس ولا تتهاون لكي لا تفقد الرجاء في الخيرات السماوية التي تُعدّ لنا، وإن أخطأتَ في شيخوختك المتقدّمة تُب وتعالَ إلى الكنيسة؛ هنا عيادة وليست محكمة، تعطي التسامح ولا تطلب مسؤولية عن الخطايا؛ قُلْ لله: «إليك وحدك أخطأتُ والشرّ قدامك صنعت» (مز ٥٠:٤) وسوف يسامحك، هو لا ينسى، طبعاً، القريب، وإن يكن هذا القريب غير مذكور صراحةً في الصلاة. فرحمة الله، كما بيّنا، تستوجب أن يصبح المرء شفافاً، أي أن يعكس سعة هذه الرحمة في سلوكه اليومي. إذ كيف يختبر إخوتنا البشر رحمة الله وبرفعون له الحمد، ما لم نكن لهم عوناً وقدوةً في ذلك: «إحمَدوا الربَّ لأنه صالحٌ، لأنّ إلى الأبدِ رحمتَهُ» (مز ١٣٦: ١)؟

رسالة يعقوب: العمل بالكلمة

بعد أن أرشد الرسول يعقوب سامعيه الذين وُلدوا «بكلمة حق» أن يكونوا ملتصقين وسامعين لكلمة الحق التي في الإنجيل، ينقلهم إلى المرحلة التي تلي السماع وهي قبول هذه الكلمة التي تستطيع وحدها تخليصهم: «لذلك اطرَحوا كلَّ نَجاسةٍ وكَثرَةَ شَرٍّ فاقبَلوا بوداعةٍ الكلِمةَ المغروسةَ القادِرَةَ أن تُخلِّصَ نفوسَكم» (يع ١:٢١).

قبول الكلمة المخلّصة يجب أن يسبقه التخلّي عن كل نجاسة وطرد كل شر من قلوبنا. لا يمكن للخير والشر أن يتعايشا معاً في الإنسان. في المعمودية نحن نولد من جديد «بكلمة الحق». لكن لنراجع معاً تدرّج خدمة المعمودية: فبعد صلوات الاستقسامات، أي صلوات طرد الشياطين، يتجه العرابان إلى الغرب حاملين الطفل ويرفضان «الشيطان وكل أعماله وجميع ملائكته وكل أباطيله»، ثم يتجهان نحو الشرق ويعلنان موافقتهما للمسيح ويسجدان له ويتلوان دستور الإيمان. إذاً قبل قبول المسيح علينا أن ننظف أنفسنا من وسخ الشر والخطيئة. نطرد من ذواتنا كل شر ونحلُّ مكانه بوداعة كلمة الحق المخلّصة. يقول الرسول «بوداعة» لأن المتكبر يعتقد ان العالم يدور حوله وانه يخلِّص نفسه بقدرته، بينما الوديع وحده يقبل ان خلاصه آتٍ من الله عبر كلمته المخلّصة لنا. مهمٌ جداً أن نعي ان الخلاص هو من الله ونحن لا نخلص بدونه أو بقدرتنا وحدها. كلمة الله المخلّصة هي الخمير الذي يخمّر العجين (متى ١٣:٣٣)، ونحن نخلص بمقدار غرفنا وتجاوبنا مع هذه الكلمة. هي كلمة تفعل ولا تنتظر إلا تجاوبنا معها لكي تصبح حياة في حياتنا.

من هذا المنطلق يحثنا الرسول يعقوب على جعل هذه الكلمة تثمر بحياة مقدسة، على مستوى الواقع اليومي والعلاقات البشرية، فيقول: «ولكن كونوا عاملينَ بالكلمة لا سامعينَ فقط خادِعينَ نفوسَكم. لأَنَّه إن كان أحدٌ سامعاً للكلمة وليس عامِلاً فذاك يُشبهُ رجلاً ناظِراً وَجْهَ خليقَتِه في مِرآة، فإنَّه نظرَ ذاتَه ومضى وللوقتِ نسِيَ ما هو. ولكن مَنِ اطَّلَعَ على الناموسِ الكامِلِ ناموسِ الحُريَّةِ وثَبَتَ وصارَ ليس سامِعاً ناسِياً بل عامِلاً بالكلمةِ فهذا يكونُ مغبوطاً في عَمَلِهِ» (يع ١: ٢٢–٢٥). ليس المهم أن تقبل كلمة الحق فقط بل أن تعمل بها. إن لم يترجم إيماننا أفعالاً فهو إيمان ميت (يع ٢:٢٠). كلام الرسول نابع من إيمانه بالرب يسوع القائل: «ليس كُلُّ مَن يقولُ لي يا ربُّ يا ربُّ يدخُلُ ملكوتَ السمواتِ، بل الذي يفعلُ إرادةَ أبي الذي في السموات... فكُلُّ مَن يَسمَعُ أقوالي هذه ويعمَلُ بها أُشبِّهُه برجل عاقِل بنى بيتَهُ على الصخر» (متى ٧: ٢١ و٢٤). ولما قيل للرب إن أمه وإخوته في الخارج يريدونه، قال لهم: «أُمي

قدّم له توبة وسيرحمك، لأنّ بعض الأشياء تتعلّق بنا، وأشياء أخرى تتعلّق بالله، إن عملنا ما يتعلّق بنا، فإنّ الله يعمل ما يتعلّق به أيضاً.

إذاً، عندما يكون سيد الجميع محباً للبشر، يجب علينا ألا نُهمل خلاصنا؛ ينتظرنا ملكوت السموات والفردوس وخيرات لم ترها عين ولم تسمع بها أذن ولم تخطر على بال إنسان، ألا يجب أن نعمل كلّ ما نقدر عليه لكي لا نفقدها؟ ألا يجب أن نعطي شيئاً ولو صغيراً لكي نكتسب الأشياء العظيمة التي لا تُحصى؟ فلنتُب إذاً، ولنجعل أيدينا تعتاد على الرحمة، ولنتواضع، ونحزن، ونبكِ، كلّ هذه هي صغيرة؛ الأشياء الكبيرة والأعظم من قوانا هي التي ستُعطى لنا من الله، أي الفردوس والملكوت السماوي، الذي قد ندخل إليه جميعنا بنعمته.

القديس يوحنا الذهبي الفم

وإخوتي هم الذينَ يسمعونَ كلمةَ اللهِ ويعملون بها» (لو ٨:٢١). كلام الرسول يتفق أيضاً مع ما قاله الرسول بولس: «لأنّ ليس الذينَ يسمعونَ الناموسَ هم أبرارٌ عند اللهِ بل الذين يعملونَ بالناموسِ هم يُبرَّرونَ» (رو ٢:١٣).

بالنسبة للرسول يعقوب مَن يسمع كلمة الرب ولا يعمل بها هو يخدع نفسه ويغشها. هذا يسير في الظلمة وحياته هي كذب عملي متواصل، وهذا يشبه الرياء الذي ندَّد به الرب يسوع عند الفريسيين إذ «يقولون ولا يفعلون» (متى ٢٣:٣). مَن يسمع ولا يعمل هو كمن ينظر في المرآة لكي يرى عيوبه ليصححها ثم يمضي ولا يفعل شيئاً تجاه الواقع. هكذا يتعامل الإنسان الجاهل مع الإنجيل، إذ يسمعه ولا يعمل به. كلمة الله تشبه مرآة تكشف للإنسان ما كان عليه، تكشف له ضعفاته وخطاياه وما يجب أن يصلحه في ذاته، كما انها تذكره بما يجب أن يكونه. لكن، وللأسف، كثيرون منا يقولون «ما أجمل كلام الإنجيل»، إلا انهم لا يطيعونه في حياتهم، وهذا هو الجهل بعينه. مغبوط الإنسان الذي يسمع كلمة الله ويحفظها أي يعمل بها (لو ١١:٢٨).

بعدها ينتقل الرسول يعقوب ليعطي بعض الأمثلة من الناموس الكامل ناموس الحرية التي ولدنا بها الرب يسوع «إن كان أحدٌ فيكم يظنُّ أنَّه ديِّنٌ وهو ليس يُلجِمُ لِسانَهُ بل يخدعُ قلبه فدِيانةُ هذا باطِلةٌ. الديانةُ الطاهرةُ النقيَّةُ عند اللهِ هي هذه افتِقادُ اليتامى والأراملِ في ضِيقَتِهم وحِفْظُ الإنسانِ نفسَهُ بلا دَنَسٍ من العالمِ» (يع ١:٢٦ و٢٧). يتابع الرسول يعقوب الخط النبوي الوارد في الكتاب المقدس منذ العهد القديم: العبادة الحقيقية لا تقتصر فقط على الحفاظ على الطقوس والممارسات الدينية، بل هي أعمال فضيلة تكرِّم الرب حقاً. النبي ارميا وبَّخ الشعب لتصرفاته المعوجة: «هكذا قال الرب... مُحرَقاتُكم غيرُ مقبولةٍ وذبائِحكم لا تَلَذُّ لي» (٦:٢٠). المسيحي المتدين الحقيقي هو الذي يتمم كالطفل بدقة إرادة أبيه الرب في السموات الذي ولده بكلمة الحق: «لتكن مشيئتك». أولى هذه الأعمال أن يلجم لسانه (سوف يتم الحديث عن اللسان بالتفصيل عند شرحنا الإصحاح الثالث من الرسالة). وبعدها افتقاد اليتامى والأرامل. إذا كنا من أبناء الله فيجب أن نقتدي به وهو الذي قال عنه صاحب المزامير: «أبو اليتامى وقاضي الأراملِ اللهُ في مسكنِ قُدْسِهِ» (مز ٦٨: ٥). على المسيحيين الذين هم أبناء الله أن يكون قلبهم كقلب أبيهم فيقتدوا به في عنايته ومحبته. مَن أراد الإقتراب من الله عليه أن ينفصل جذرياً عن كل ما هو دنس ودنيوي لكي يرتفع إلى العلاء.

دخول السيدة إلى الهيكل

بمناسبة عيد دخول سيدتنا والدة الإله الفائقة القداسة إلى الهيكل يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الخميس ٢٠ تشرين الثاني وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الجمعة ٢١ تشرين الثاني في كنيسة دير دخول السيدة في الأشرفية.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb